موقع الإعجاز العلمي للقرآن الكريم*
في مناهج التعليم الطبي

د . إبراهيم الصياد
وزارة الصحة ــ الكويت

يشتمل القرآن الكريم على آيات من الإعجاز في مجال العلوم الطبيه . وهي نماذج فريدة توضح كيف أن القرآن الكريم قد سبق المعارف البشرية . فقد تنزلت هذه الحقائق سابقة الزمن بأربعة عشر قرنا ولم يتمكن أحد من فهمها إلا بعد الاكتشافات الحديثة في الطب وعلوم الحياة ، تلك المكتشفات التي صارت ممكنة بعد استحداث الوسائل الجديدة في الفحص وأساليب التشخيص .

وقد قام كثير من علماء المسلمين بجمع هذه الآيات ونشرها مع بعض التفاسير في ضوء المعلومات العلمية الحديثة[١] . وفي رأيهم أن ذلك يخدم قضية اليقين والإيمان بالله .

وقد أجرى بعض الباحثين دراسات مقارنة بين القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى فيما يتعلق ببعض القضايا مثل خلق الإنسان . وقد بنيت تلك الدراسات على ما ورد في القرآن الكريم من حقائق علمية ليس لها نظير في الكتب الأخرى ، ومن ذلك الدراسات الرائدة التي قام بها الدكتور موريس بوكاي .[٢]

ومن جانب آخر فبعض الفقهاء المسلمين لا يتحمسون للمضي قدما في هذا المجال ، فهم لا يشجعون تفسير الآيات الكريمة بنظريات وقوانين دائمة التغير للعلوم الطبيعية . وهذه الآيات في نظرهم لا يقصد بها إرساء حقائق علمية بل إنها تحمل رسالة إلى المسلمين تدعوهم إلى التدبر والاستكشاف

* قدم إلى المؤتمر الطبي السنوي الثامن : الرياض : كلية الملك خالد العسكرية ، ١٤٠٤ هـ .

ودراسة الخليقة الرائعة للخالق العظيم . وهم بذلك لا يوافقون على أن يستخلصوا من النص القرآني أكثر مما يحمله المعنى اللفظي ببساطة .[٣]

وعلى الرغم من هذا التباين في وجهات النظر حول مجال تفسير هذه الآيات فإن هناك إجماعاً على أن معجزة القرآن ليست مرتبطة بتلك الآيات التي تلمس العلوم الطبيعية .

إن مادة القرآن الكريم أكبر من أن يحتويها مجال محدود من المعرفة . إنه كتاب الهداية الحق الداعي إلى بناء أمة الإسلام التي تقيم رسالة الله في الأرض . وقد وضع القرآن الكريم الخطوط العريضة للتشريع في مختلف مجالات الحياة دون الدخول في التفاصيل . والقرآن بذلك يقر المفاهيم الصحيحة ويضع الإنسان على الطريق السوي في حياته الدنيا .

وفي ضوء المناقشة السابقة ما هو موقع جوانب الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في مناهج التعليم الطبي ؟
لماذا يجب أن تتضمنها هذه المناهج ؟
وأين يجب أن توضع موضع الدراسة ؟

هناك اعتبارات كثيرة تسوغ تضمين الآيات المتعلقة بالطب وعلوم الحياة في التعليم الطبي :ـــ

١ ـــ تشكل الآيات المتعلقة بالطب وعلوم الحياة أغلبية بين الآيات المرتبطة بالعلوم الأخرى .

٢ ـــ ترتبط العلوم الطبية ارتباطا مباشراً بقدرة الله تعالى في خلق أفضل مخلوقاته وهو الإنسان . والمسلم مطالب بأن يتدبر في خلقه ليستشعر نعمة الله عليه إذ سوّاه في أحسن تقويم .

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ (فصلت ٥٣) .

٣ ـــ الطب من العلوم التطبيقية التي وصفها الإسلام بالعلوم النافعة . لذا فدراستها والعمل بها نوع من العبادة طالما اقترنت بالنية الصالحة . وكان رسول الله ﷺ دائما يحذر من أنواع المعرفة التي لا تحمل خيرا للبشرية حيث يقول :

« اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع »

٤ ـــ يعتبر فهم التصور الإسلامي للحياة ضرورياً لأداء واجبات معينة مطلوبة من كل مسلم نحو نفسه ونحو أخيه المسلم ونحو المجتمع ونحو الحياة بأشكالها سواء كانت آدمية أو حيوانية . وهذا يشكل جانبا أساسيا في ثقافة الطبيب المسلم الذي يتعامل مع الحياة البشرية . لذلك فإن نظرة الإسلام للحياة والخلق والمرض والعلاج يجب أن تكون مفهومة بوضوح لأي مسلم يدرس الطب .

أما الموقع الذي يجب أن تدخل فيه هذه الآيات فإننا نلخص مقترحاتنا بشأنه فيما يلي :—

١ — يجب أن يكون إدخال الآيات القرآنية في المنهج الطبي جزءاً من خطة عامة لأسلمة العلوم أو الصياغة الإسلامية للمعارف . وهذه الخطة ذات عنصرين :

أ — **العنصر الأول** : هو دراسة الآيات مع تفسيرها في موقعها المناسب مرتبطة بدراسة الموضوع المتعلق بها . فمثلا تدرس آيات خلْق الإنسان مع مقرر علم الأجنة والآيات المتعلقة بالمحيض مع مقرر علم التوليد وهكذا .

ب — **والعنصر الثاني** : هو أن المنهج الطبي يجب أن يركز على الصلة بين دراسة الجسم البشري وقدرة الله في خلقه وتنظيم وظائفه وأحكامها . ولا بد أن يوضع طالب الطب في الموقف العقائدي الحق الذي يتطلبه منه إسلامه عندما يواجه هذه الحقائق . ويلزم تنقية التعليم الطبي من تلك الأفكار التي تنسب الخلْق إلى الطبيعة . وحيثما أمكن يجب الاستشهاد بآية كريمة أو حديث شريف لتعزيز المعلومات العلمية المتعلقة بهما .

والهدف النهائي هو بناء إيمان أقوى بالله عز وجل يتوازى مع نمو المعلومات الطبية . وهذا الاتجاه يجب أن يكون صبغة مميزة للتعليم الطبي في البلاد الإسلامية .

٢ — ومع ذلك فإن خطة أسلمة المناهج الطبية التي سبق ذكرها لا تعدو أن تكون عناصر قليلة متفرقة في المراحل الأولى للتعليم الطبي . ومع أنها قد تلبي حاجة المؤمن إلا أنها تظل غير كافية لتكوين قدر شامل من الثقافة والمعلومات الإسلامية التي تلزم الطبيب المسلم .

ولتحقيق هذا الغرض فإننا نقترح أن تتضمن المرحلة الأخيرة للمنهج الدراسي مقرراً في الطب الإسلامي يشتمل على ما يلي :—

أ — موضوعات متخصصة تتناول نظرة الإسلام للممارسة الطبية . وهذه تشمل فصولا عن الإسلام والطب الوقائي ، والإسلام والعلاج الطبي ، ونظرة الإسلام للمرضى وللمريض وزائره ونظرته للميّت . وهذه الموضوعات يجب أن تحتوي كل الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المرتبطة بها ، وتصاغ بطريقة توضح النظرة الإسلامية المتميزة للطب ، حتى يمكن أن تنعكس على مفاهيم الطبيب وسلوكه .

ب — دراسة الفقه الإسلامي اللازم للطبيب المسلم في ممارسته لمهنته ، سواء كان ذلك لسلوكه الشخصي أو لإرشاد مرضاه . وهذا يمكن أن يشمل الأحكام التي تنظم الرخص الشرعية للعبادة في حالات المرض ، والضوابط التي تحكم الانعاش الصناعي والرعاية المركزة ، وزرع الأعضاء والجراحة التصويبية ، ومشاكل الخصوبة والإنجاب

وهندسة الوراثة وغيرها من الإجراءات المستحدثة في الطب وعلوم الحياة .

جـ ــ آداب مهنة الطب من وجهة النظر الإسلامية . وهذا العلم يدرس في كليات الطب على أسس وضعية لا تخلو من الشطط والانحراف . والإسلام يحتوي على ثروة في القواعد السلوكية قادرة على إقامة مدرسة تربوية مهنية تربي الطبيب على القيم الرفيعة التي يهتدي بها في عمله المهني .

وهذا المقرر المقترح في الطب الإسلامي يمكن أن يكون علامة مميزة للتعليم الطبي في البلاد الإسلامية . ولا شك أنه سينعكس بالخير على مفاهيم الخرّيجين وسلوكهم بطريقة ترقى بالعلاقات الإنسانية السائدة في المجتمع وبخدمات الرعاية الصحية . ومن حسن الطالع أن جامعة الملك عبد العزيز قد اتخذت الخطوة الأولى بإنشاء قسم الطب الإسلامي تابع لمركز الملك فهد للبحوث الطبية وهذا القسم في طريقه لجمع المادة العلمية اللازمة لهذا المقرر الدراسي . وهو يتعاون في هذا المجال تعاوناً وثيقاً مع منظمة الطب الإسلامي في الكويت والمراكز الأخرى في مختلف بقاع العالم الإسلامي .

المراجـــع

١ ــ دياب أ . هـ . قرقوزا .
مع الطب في القرآن الكريم . مؤسسة علوم القرآن دمشق ١٩٨٠ .

٢ ــ بوكاي،م .
أصل الإنسان والكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث . مجلد أعمال المؤتمر العالمي الثاني للطب الإسلامي . الكويت ١٩٨٢ ص ٥٣ ــ ٥٩

٣ ــ محرم،م . ر .
بدعة تفسير القرآن بالعلم . المسلم المعاصر ١٩٨٠ عدد ٢٢ ص ١٢٥ ــ ١٣٤ .